وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــــــــــة المثنى
كليـــــــــــة الآداب
قســـــــــــم الاثـــار
المرحـــــــلة الرابعة

تاريخ الشرق الأدنى القديم
(بلاد الشام)

مدرس المادة
م.م. هيثم عقيل عويز

مصادر دراسة تاريخ سوريا القديم:

تعد النقوش والكتابات السورية القديمة ونقوش بلاد النهرين ونقوش الآثار المصرية ونقوش المصادر الحديثة وكتاب التوراة[١] وما سجله الكتاب الكلاسيكيون من أهم مصادر دراسة تاريخ سوريا القديم جاء ذكر الفينيقيين فى أكثر من موضع عند هوميروس منذ منتصف القرن التاسع ق. م .[٢] ونقرأ فى الإلياذة والأوديسية عن الأقمشة الشفافة الموشاه الآتية من صيدا ، والأدوات المصنوعة من الذهب الآتية من فينيقيا عموما . كذلك كان الرقيق ضمن واردات بلاد اليونان وفى هذا المجال يشير يومايوس (الراعى الذى كان يعمل عند اوديسيوس) فى حديثه مع أوديسيوس إلى جارية فينيقية فى قصر والده كانت ابنة لأحد الموسرين ثم اختطفها القراصنة وباعوها فى سوق الرقيق .[٣] فقد زار هيرودوت صور فى حوالى ٤٥٠ ق. م . وذكر أن الكهنة قالوا له أن معبد ملقارت قد بنى منذ عام ٢٣٠٠ ق. م.[٤]

وجاء فى مواضع فى جغرافية سترابون وفى تاريخ بلينيوس أو بلينى أن العرب كانوا قد توغلوا فى بلاد الشام قبل الميلاد ، وأنهم كانوا قد تحصنوا بجبال لبنان واتخذوا فيها معاقل لغزو القرى والفلاحين وسكان ساحل البحر . وتحدث بطلميوس فى كتابه " الجغرافيا " عن أشهر القبائل والمواضع فى بلاد الشام وعلى

---

(١) د. توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب آسيا القديمة ، ص ٢٥١ يذكر المؤلف خمسة مصادر نعتمد عليها فى دراستنا للتاريخ السياسى والحضارى القديم لبلاد الشام .

(٢) انظر الأوديسية ، نشيد ١٣ : ٢٧٢ ؛ نشيد ١٤ : ٢٨٨ ؛ نشيد ١٥ : ٤١٥ ، ٤١٩ ، ٤٧٣ ؛ الإلياذة ، نشيد ٢٣ : ٧٤٤ . راجع : د. لطفى عبد الوهاب : هوميروس تاريخ حياة عصر ، مركز التعاون الجامعى ، الإسكندرية ١٩٦٨ ، ص ١٥ حاشية (١٣) ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٤) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ٢٥٢ .

مقربة من بلاد النهرين .[1] يذكر د. شعبان قائمة بأعمال الكتاب الذين تعرضوا لتاريخ فينيقيا واستقرت أعمالهم فى مكتبة الإسكندرية ولكن لم يصلنا منها شئ سوى مقتطفات ، من بين هؤلاء المؤلفين يذكر أسماء تسعة هم :

١- مينا ندر الصورى ، الإفسوسى وربما البرجامى ، صاحب كتاب تاريخ صور أو تاريخ فينيقيا أو وقائع اليونانيين والبرابرة فى عهد ملوك صور .

٢- ديوس ، صاحب كتاب تاريخ فينيقيا الذى نقل عنه يوسيفوس المؤرخ اليهودى مقتطفات كثيرة وطويلة تتعلق بسيدنا سليمان ولحيرام .

٣- هيبسكريتس ، صاحب كتاب تقرير فينيقيا وقد كتب بالفينيقية وترجمه اسيتوس أو لايتوس .

٤- ثيوديوتوس ، صاحب عمل مستفيض عن تاريخ فينيقيا ترجم كذلك إلى اليونانية .

٥- فيلوستراتوس ، كتب عن تاريخ فينيقيا وعن تاريخ الهند كما كتب عن حصار صور .

٦- هيرونيموس ، من كانديا فى عهد انتيجونوس وهو أحد المؤرخين الفينيقيين المعدودين ، وكتب أيضا عن تاريخ فينيقيا .

٧- موخوس ، مؤرخ فينيقى ورد ذكره كثيرا فى كتب اثينايوس ، وربما كان أصلا من صيدا .

٨- سانخونياثون ، مؤلف فينيقى مجهول ربما كان مسئولا عن الكتب المقدسة الفينيقية . كما سجل الأساطير الفينيقية وكلها ترجمت إلى اليونانية وإن لم يصلنا منها شئ سوى مقتطفات .

---

(١) د. جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث، ص ٣٦٠ - ٤٥٣ .

٩- **فيلون من بيبلوس** ، كتب عن الأساطير والديانات الفينقية وقام بكتابة قصص سان شونيا تون وهو كاهن من بيروت ولم يصلنا من إنتاجه سوى مقتطفات .[١]

كما يقترح د. شعبان أن جميع الكتابات التى كتبها اليونانيون منذ هوميروس حتى القرن السابع الميلادى ، كان يوجد منها نسخة فى مكتبة الإسكندرية هذا غير الكتب الغير إغريقية والتى تجمعت من مصر وفينيقيا والهند وروما وغربى أوروبا .[٢]

بداية الاهتمام بآثار بلاد الشام القديمة :

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر نهضة علمية للبحث عن الآثار . ففى عام ١٨٥٣ - ١٨٥٥ قام فوج بالتنقيب فى سوريا وفلسطين ، وفى عام ١٨٦٠ قام رنان بعمل عدة حفائر فى مواقع فينيقيا ونشر كتابه عن فينيقيا عام ١٨٦٤ . وتوالت البعثات الأجنبية بعد ذلك .[٣] وقسم العلماء تاريخ سوريا القديم إلى المراحل الآتية :

---

(١) د. شعبان خليفة : مكتبة الإسكندرية ، الحريق والاحياء ، كتاب الجمهورية ٢٠٠٠ ، ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣) عن أهم التنقيبات الأثرية فى سوريا ولبنان من عام ١٩٢٢ إلى عام ١٩٨٢ ، راجع : د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ - ٣٥٠ ؛ د. عفيف البهنسى : الآثار السورية (مجموعة أبحاث أثرية تاريخية) ، ص ٣٦٠ - ٣٦٥ . ونذكر هذا أن بعثة إيطالية من معهد الدراسات الأثرية فى جامعة روما برئاسة مثيى وعضوية فلورانى وآخرين قد أجريت حفريات أثرية هامة فى تل مرديخ (= ابلا) على بعد ٥٥ كم جنوبى حلب . وكانت البعثة قد بدأت حفائرها فى عام ١٩٦٤ . وقسمت عصور هذه المنطقة إلى عصرين : الأول : عصر السلالات الملكية الأولى حتى بداية العصر الأكدى من ٣٥٠٠ إلى ٣٣٠٠ ق.م ، والثانى من ٥٣٠ إلى ٦٠ ق.م . وبرهنت الحفائر الأثرية --

العصور الحجرية القديمة :

عرفت سوريا حضارات العصر الحجرى القديم (العصر الباليوليثى) بمراحله المختلفة .[١] فقد عثر على بقايا العصر الحجرى القديم الأسفل فى كهوف عدلون بين صيدا وصور والزطية (شمال غرب بحيرة طبرية) ورأس الشمرا (أوجاريت) .[٢] وهى بقايا عبارة عن أدوات حجرية بسيطة . ولم يعثر على بقايا بشرية من هياكل عظمية تمثل سكان هذا العصر . وأقدم الإشارات إلى استيطان بشرى فى منطقة دمشق تعود إلى العصر الحجرى القديم الأسفل .[٣] وعثر على بقايا العصر الحجرى القديم الأوسط فى شمال غرب بحيرة طبرية . وعثر على بقايا العصر الحجرى القديم الأعلى فى كهوف أنطلياس وفى حوض نهر الكلب وفى كهوف بالقرب من بحيرة طبرية . وتغير المناخ فى هذا العصر ، فهطلت الأمطار ،

= على وجود علاقات حضارية وفنية وثيقة بين هذه المنطقة وأرض أكد فى أواسط بلاد النهرين ، راجع : د. عفيف البهنسى : المرجع السابق ، ص ٦١ - ٦٣ ، ٩٨ - ١٠١ . والغريب فى هذه الحفائر أنها كشفت لنا عن ألواح طينية عليها أسماء سيدنا " إبراهيم وإسماعيل وداود ... إلخ " وهى أسماء وردت فى نصوص العد القديم . وهذه الأسماء ليست لها صلة بما جاء فى العهد القديم ، وتدل على قدم التراث العربى القديم فى هذه المنطقة ، وهو تراثنا الذى بعدنا عنه ، فقام اليهود وتبنوه لمصلحتهم بدون وجه حق ، راجع : د. توفيق سليمان : المرجع السابق ، ص ٣٤٨ ؛ د. فيصل عبد الله : مجلة دراسات تاريخية ، العددان ٣١ ، ٣٢ ، دمشق آذار - حزيران ١٩٨٩ ، ص ١٥٥ وحاشية (١) ، ص ١٦٤ .

(١) د. أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٦٥ - ٢٦٨ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٣) د. عيد مرعى : دمشق القديمة ، تحليل لكتاب وين بيتارد ، فى مجلة دراسات تاريخية العدد ٣١ - ٣٢ ، حزيران ، دمشق ١٩٨٩ ، ص ١٧٠ .

وبذلك حدثت فترة ممطرة أخرى . وفى الفترة الأخيرة من هذا العصر بدأ الجفاف يزحف على البلاد .[١] وقد عثر على بقايا العصر الحجرى الوسيط (العصر الميزوليثى) فى يابرود فى لبنان وفى أريحا وتل الجديدة (شمال سوريا) ورأس الشمرا . وعثر فى هذه المناطق على بعض القطع من عظام الغزال وتماثيل من الطين لبعض الحيوانات فى مقبرة فى أريحا . وعثر أيضا على أوانى للطعام والقرابين فى أماكن الدفن .[٢]

أما العصر الحجرى الحديث (العصر النيوليثى) : فقد وجدت آثاره فى تل الجديدة وساكجى جوزى (فى أقصى الشمال) ومرسين فى كيليكيا . وعثر أيضا على بعض الفؤوس والمناجل الحجرية لا شك أنها استخدمت فى الزراعة كما عثر على أجران وأوانى فخارية .

وقد أمدتنا الحفائر التى تمت فى طبقة عميقة فى رأس الشمرا على وجود بقايا من العصر الحجرى الحديث ، وكان السكان لا يعرفون فيها استخدام الفخار وترجع هذه البقايا إلى الألف السابعة ق. م . ونجد نفس الوضع فى موقع آخر فى تل رامادوتل أسود بالقرب من دمشق[٣] ويطلق على هذه الطبقة (الخامسة س) .

ثم بدأ يظهر استخدام الفخار الخشن فى تل رامادبعد ذلك بقليل ، وظهر هذا الفخار فى رأس الشمرا ، وأيضا فى بيبلوس ، وذلك فيما يسمى بالطبقة الخامسة ب ، ويرجع هذا التطور فى تلك الطبقة الأخيرة إلى نهاية الألف السادسة ق. م . وقد عثر فى هذه الطبقة على بقايا بعض الأكواخ المبنية والمغطاة بطبقة من الجير . وكان الموتى يدفنون فى مقابر بجوار المساكن على سطح الأرض أو فى حفرة مغطاة

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٣١ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، ص ٢١ - ٢٦ .

(٢) عن العصور الحجرية فى لبنان ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٥١ - ٦٨ .

(٣) د. عيد مرعى : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

بالأحجار .

بعد ذلك جاءت فترة فى أواسط العصر الحجرى الحديث التى استخدم فيها الإنسان الفخار الخشن الملون ، وقل خروج الإنسان فيها للصيد ، وأصبح الإنسان يهتم بصناعة أدواته من الخشب .

وعندما حل العصر الحجرى الحديث الأعلى تقدمت صناعة الفخار وأصبح ملونا بخطوط مستقيمة .

استخدام المعادن :

بدأ استخدام المعادن فى بيبلوس ، فى بداية الألف الرابعة ق. م . ولم يحدث أى تطور آخر ، واستمرت هذه الحضارة أغلب فترات الألف الرابعة ق. م . وعثر على حضارة هذا العصر فى رأس الشمرا (أوجاريت) ، وجزر وتليلات غسول .[1] وقد عثر فيها على مساكن من اللبن أساساتها من الحجارة ويلاحظ أن كل مسكن كان يتكون من حجرة واحدة ذات مساحة كبيرة ، ولوحظ وجود مساكن مستديرة أو مستطيلة ومقسمة فى بعض الأحيان إلى حجرتين .

وكان الأطفال يدفنون عادة فى جرار تحت أرضية المنازل . أما البالغون فكان بعضهم يحرق والبعض الآخر يدفن فى جرار ويوضع على هيئة القرفصاء . واقترنت الزراعة بالرعى واستئناس الحيوان كالثور والماعز والأغنام . وكان الحمل يرمز عادة إلى المعبودة الأم أو رمز الأمومة .

وفى نهاية الألف الرابعة ق. م . طرأ نوع من التغيير الكبير حيث نجد أن التجمعات التى كانت حول بيبلوس قد بدأت تنتظم فى أسلوب إدارى أكثر رقيا ، وأصبحت المساكن المستطيلة تتكون من حجرة واحدة مبنية بكتل من الحجر الرملى ، وكان السقف محمولا على أعمدة من الأخشاب قائمة على أرضية من البلاط

---

(١) د. فيليب حتى : المرجع السابق ، ص ٦٩ - ٧٣ .

الحجرى . وعثر أيضا على بناء ربما كان معبدا وكان يتخذ نفس الشكل المستطيل ويحتوى على حجرتين ويبدو أنه بفضل هذه المساكن نشأت قرية كبيرة ذات مساكن متعددة . وعثر فى هذه الفترة على فخار كان يصنع على عجلة الفخار ، كما استخدم اللبن فى البناء وعثر على تماثيل صغيرة من النحاس مما يدل على أنهم عرفوا صهر المعادن ، كما عثر على أوانى زخرفت بطلاء خارجى .

وعثر على حضارة الألف الرابعة ق. م . فى أريحا (يريحو) ومجدل والعفولة وبيت شان (بيسان) وأوجاريت (رأس الشمرا) وبيبلوس (جبيل) .[١]

الشعوب الكبرى والممالك الصغرى التى قامت فى سوريا والأحداث التى أثرت فى تاريخها من منتصف الألف الثالثة حتى نهاية الألف الأولى ق.م.

وفدت على سوريا فى موجات متتابعة هجرات يقال عنها أنها من عناصر سامية[٢] واستقرت فى أنحاء مختلفة منها ، وأهم هذه العناصر السامية ثلاثة :

أولا : الأموريون فى سوريا (ويسميهم البعض باسم العموريين) :

هم أول شعب سامى عاش فى سوريا ، وقد وفدوا عليها من الجزيرة العربية فى هجرة واحدة مع الكنعانيين فى حوالى منتصف الألف الثالثة ق. م . أى حوالى سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد تقريبا [٣] وأخذوا ينتشرون فى باديتى الشام والعراق

---

(١) د. عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ - ٢٧٦ .

(٢) عن علاقات شعوب الشرق الأدنى القديم العرقية ، راجع : د. فيليب حتى : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، ص ٧٣ - ٧٦ .

(٣) يرى د. لطفى عبد الوهاب فى : العرب فى العصور القديمة ، ص ٦٠ (٢) ، أن الكنعانيين (بما فيهم الفينيقيين) والأموريين قد استقروا فى سوريا ووادى بلاد النهرين خلال الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد .

وامتدوا حتى غربى الفرات واستقروا عند أواسط هذا النهر .

وكان يسكن هذه المناطق من قبل عناصر سومرية ولكن بعد وفود الأموريون إليها أصبحوا يمثلون غالبية السكان . وسماهم السومريون القدماء أهل " مارتو " أى أهل الغرب أى الغربيين الذين سكنوا إلى الغرب من بلادهم . ثم سماهم بنو عمومتهم الأكديون باسم " الأموريين " وهو اسم يؤدى نفس المعنى القديم أى أهل الغرب (وإن كان أحد معبوداتهم الكبرى قد سمى امورو) (كما ذكر د. صالح) .[1]

نجح الأموريون فى بداية الألف الثانية قبل الميلاد فى تأسيس سلسلة من الدويلات الصغيرة فى سوريا وفلسطين وعلى حدود بلاد النهرين . فما أن حل القرن العشرون ق. م . حتى أصبحت منطقة وسط الفرات آمورية فى سكانها ومظاهر حضارتها ، حيث أسسوا دولة عاصمتها ماري جنوب مصب نهر الخابور بالقرب من فرع الفرات . وفى خلال الألف الثانية أصبحت مارى وما حولها آمورية .

وأول إشارة إلى أرض الأموريين ظهرت منذ عهد سرجون الأول (حوالى ٢٣٧١ ق. م) . وأخذ الأموريون يظهرون بالتدرج فى وسط سوريا ولبنان حتى فلسطين فى الجنوب . ويقال أن أسماء لبنان وصيدا وعسقلان أسماء آمورية . وقبل أن يجتاح سرجون الأول بلاد آمور كانت عاصمتها مارى قاعدة لإحدى السلالات السومرية القديمة . وفى خلال القرن العشرين أصبحت مدينة مارى والبلاد المحيطة بها آمورية فى سكانها وحضارتها وحكومتها . ولابد أن الغزاة من الأموريين الساميين وطدوا أنفسهم فوق مجتمع سابق متمدن من سكان بلاد النهرين .

ولم يقتصر الأموريون على تأسيس دولة فى منطقة وسط الفرات واجتياح سوريا وإنما اجتاحوا بلاد النهرين أيضا وحكموها وقد أسسوا عدة سلالات قدمت من آشور فى الشمال حتى لارسا فى الجنوب بين ٢١٠٠ و ١٨٠٠ ق. م ، وأهم هذه السلالات كانت سلالة بابل وهى أول سلالة ظهرت فى هذه المدينة وانتسب إليها

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤٣ .